مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المقدّمة

من كتاب المسائل والأجوبة

لابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢١ ه

« مسألة رُبّ »

عني بتحقيقها

الدكتور ابراهيم السامرائي

دمشق

١٣٨٢ ه = ١٩٦٣ م

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المقدّمة

من كتاب المسائل والأجوبة

لابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي
المتوفى سنة ٥٢١ هـ

« مسألة رُبَّ »

عني بتحقيقها
الدكتور ابراهيم السامرائي

دمشق
١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي [1] المتوفى سنة ٥٢١ هـ من علماء العربية المشهورين. سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس. وكان الناس يجتمعون إليه، ويقرءون عليه، ويقتبسون منه. وكان ثقة من الثقات، صاحب التصانيف العديدة.

تصانيفه :

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخم أتى فيه بالعجيب وزاد على ما جاء به قطرب).

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (طبع ببيروت سنة ١٩٠١م).

(٣) الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ).

(٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري.

(٥) كتاب في الحروف الخمسة، وهي السين والصاد والضاد والطاء والدال.

(٦) كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل.

(٧) كتاب شرح الموطأ.

وقال ابن خلكان: « وسمعت أن له شرحاً لديوان المتنبي ولم أره ».

وذكر الزركلي في الأعلام أن له « كتاب الحلل في أغاليط الجمل » وأغلب

---

(١) انظر : بغية الملتمس ص ٣٢٤، الصلة ٢٨٧، قلائد العقيان ١٩٣، ابن خلكان ٢٨٢/٢ القاهرة ١٩٤٨.

الظن أنه الكتاب الآنف الذكر ، كما ذكر أن له « كتاب الحدائق في أصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والأجوبة .

وهو الكتاب الذي نعني بنشر مختارات منه من ضمنها « مسألة رب » هذه . والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبته وألف من مجموع الأجوبة كتاباً ضخماً يتناول ما ينيف على مئة مسألة .

ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والأدب والتفسير والأصول .
والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني الصمادحي من تونس الأعلام . وقد اطلعت على المخطوط وأفدت منه فوائد عدة ، واخترت منه مسائل اثبتها في مجموع لنصوص لغوية معدّ للنشر .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط ، إذ أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي التونسي .

أما بروكلمان فهو يذكر في كتابه أن للكتاب نسختين خطيتين الأولى في ليدن والثانية في فاس ، ولم يشر إلى مخطوطتنا هذه .

المسألة الخمسون في « رُبّ » :

سألت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، وملكك نواصي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم ، عن قول النحويين : إن رُبّ للتقليل ، وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضد ما زعموه ، لأن القائل إذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ، فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما   ولا سيما يوم بدارة جلجل [١]

وقال الأعشى :

رب رفد هرقته ذلك اليوم   وأسرى من معشر أقتال [٢]

لا يليق بهما التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام الصالحة التي تنعَّم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها وأحسنها ، وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رفداً واحداً . ومثل هذه الأبيات — أدام الله عزك — حمل القائلين على أن يقولوا : إن « رب » للتكثير ، مع أن سيبويه قال في باب « كم » ومعناها كمعنى « رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير .

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل قوتي في هذه الصناعة مثل ما أشكل عليك ، وحسبت أن أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل ، وسيبويه ، وعيسى بن عمر ، ويونس ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازني ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي بكر السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الحسن الرماني ، وابن جني ، والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين

---

(١) رواية التبريزي في شرحه للمعلقات كالآتي :

ألا رب يوم لك منهن صالح ..

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال   وسؤالي وما ترد سؤالي

كالكسائي ، والفراء ، ومعاذ الهرّاء ، وابن سعدان [١] ، وهشام [٢] ، ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك الا صاحب كتاب العين فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها جاءت للتقليل . وهذا من أظرف شيء لأن (رب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير سنذكرها إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيراً وتقليلاً . ورأيت قوماً من نحويين زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون أن النحويين المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويغفلون المواضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوماً منهم يحتجون بقول سيبويه في « كم » أن معناها كمعنى « رب » وقد يتعين على المصنف إذا رأى رأياً يخالف ما رآه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تخطئتهم وانما ينبغي أن يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميناه من البصريين والكوفيين قد رأوا الأبيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء المعترضون عليهم لأنها كثيرة جداً ، وليس مجيئها للتكثير شاذاً قليلاً فيتوهم أنه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا إتفاق جميع ما ذكرناه على أن أصل « رب » للتقليل و « كم »

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمته في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٠٧ ، ارشاد الأريب لياقوت ٢٠١/١٨ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ أنظر ترجمته في أنباه الرواة ٣٦٤/٣ ، نزهة الألباء ١١٣ ، بغية الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧ نكت الهميان ٣٠٥ .

للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً ينبغي أن يعلم ويوقف عليه ، وكذلك قال سيبويه : إن « كم » معناها كمعنى « رب » لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيبويه لم ينازع غيره في قولهم: أن « رب » للتقليل و « كم » للتكثير .

والثاني : أن سيبويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] « ورب شيء هكذا » يريد أنه قليل نادر كقوله في باب « ما وقد » في بيت الفرزدق :

فاصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر [1]

وهذا لا يكاد يعرف . كما « لات حين مناص » و « رب شي » هكذا ، وهو كقول بعضهم « هذه ملحفة جديدة في القلة » فكيف يتوهم عليه أنه أراد بقوله : أن معنى « كم » كمعنى « رب » أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك .

والوجه الثالث أن كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن « رب » للتكثير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : انما قال : أن معنى « كم » كمعنى « رب » لأنها تشارك « رب » في أنها يقعان صدراً ، وأنهما لا يدخلان إلا على النكرة ، وان الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد ، وان كان الاسم الواقع بعد « كم » يدل على كثير ، والاسم بعد « رب » يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه ، ويختلفان أيضاً في أن « كم » اسم ، و « رب » حرف ، وكذلك قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام

---

(١) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها :

زارت سكينة اطلاحا أناخ بهم شفاعة النوم للعينين والسهر

سيبويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أولاً توجب أنها للتكثير ، فقد يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل . ولا أقل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أؤصل في (رب) أصلاً ينبغي تفريع مسائلها عليه ، ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه إن شاء الله تعالى .

« باب الكلام على (رُبَّ) وحقيقة وضعها »

إعلم أن « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعها . لا أن أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعها ثم يعرض فيهما المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض فيقع كل واحد منهما موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثال ذلك المدح والذم وأنهما وضعا على التناقض في أصل وضعها ، ثم يعرض لها المجاز فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل « أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه » ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للأحمق : « يا عاقل » وللجاهل « يا عالم » وللبخيل « يا جواد » وذلك على سبيل الهزء . قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « إنك لأنت الحليم الرشيد » [1] ، وقال لفرعون « ذق انك أنت العزيز الكريم » [2] ومثله قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم انك لم تأس سوءاً رفيقا

---

(١) سورة هود ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :

أبلغ كليباً وابلغ عنك شاعرها انى الأعز وانى زهرة اليمن

فأجابه جرير فقال :

ألم يكن في وسوم قد وسمت به من حان موعظة يا زهرة اليمن[1]

فسماه « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزءاً به ، وكذلك التذكير والتأنيث نقيضان في أصل وضعها ثم يلحقها المجاز فيقع كل واحد منها موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علامة ونسابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علام ونساب ويقولون : امرأة طاهر وعاقر وحامر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاءوا به هنا . ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين انما بينهما حد يفصل بعضها من بعض ، فاذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى ضده ، لأنه لا مذهب له يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ولذلك قال الشاعر :

... ... وشر الشدائد ما يضحك

وقال أبو الطيب المتنبي :

وجدت[2] حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ومن السرور بكاء[3]

---

(١) ورد البيت في الديوان على الوجه الآتي :

ألم يكن في وسوم قد وسمت بها من حان موعظة يا حارث اليمن

وكان جرير قد هجا زهرة الثاني س ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازلاً بلوى الثاني وقد ذكرن عهدك بالغواني

(٢) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : وجدت .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك[١]

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النفي موضع الايجاب ، والايجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر إن ذكرناها وتخرجنا عن الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما أن وقوع بعض هذه الأشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها ، فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعها على ما نذكر إن شاء الله تعالى .

« باب ذكر المواضع التي تقع فيها « رب » للتقليل والتخصيص على حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب إذا مدحوا الرجل « ربه رجلاً » وهو شبيه بقولهم : لله دره رجلاً . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ونص عليها سيبويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة . لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب : أنه ما خفي سببه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلاً » أنه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال

---

(١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

ومطلع القصيدة :

وصفراء لون التبر مثلي جليدة على نوب الأيام والعيشة الضنك

وما أشده فيهم . ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم: « قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » .

وقال أبو زيد الأنصاري : بيد بمعنى غير ، وربما كانت بمعنى من أجل .

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفَدَع [١] وهو أن تقبل الرجل الواحدة على الأخرى وربما كان الفَدَع أن ينقلب الرسغ إلى الجانب الوحشي . أراد أن هذا قليل والأول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » : « وكانت الخنساء وليلى مبايِنتين في أشعارهما لأكثر الفحول وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك » [٢] . والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » [٣] ومما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما خان الأمير وربما صفه الحليم . أي أن هذا قد يكون ، وان كان الأكثر غيره كما قال قيس بن زهير [٤] :

أظن الحلم دل علي قومي   وقد يستجهل الرجل الحليم [٥]

---

(١) لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفدع ، فليس هو مختصاً بالأسد بل مطلق عام .

(٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك) ١٢١٣/٢ على الوجه الآتي : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعة ، وقلما يكون ذلك » .

(٣) سورة الزخرف الآية : ١٨ .

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد ١٥٠/٤ خزانة الأدب ٥٣٦/٣ سمط اللآلي ٥٨٢ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ والبيت من قصيدة مطلعها :

تعلم أن خير الناس ميت   على جفر الهباءة لا يريم

وقال سالم بن وابصة : (١)

لا تغترر بصديق أنت تمحضه   وخفه خوفك من ذي الغدر والملق
إن الزلال وان انجاك من غصص   دأبًا فربتما أرداك بالشرق

وقال أعشى باهلة : (٢)

لا يبطرن ذا مقة أحبابه   فربما أردى الفتى لعابه

وقال حاتم الطائي (٣) :

اني لأعطي سائلي ولربما   أكلف ما لا يستطاع فأكلف

وقال زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة   على معتفيه ما تغب فواضله (٤)

وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لأنه انما أراد بالأبيض حصن ابن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هـذه صفتهم . ألا تراه يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهما   إلى باذخ يعلو على من يطاوله

وقال خوّات (٥) بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين (٦) :

---

(١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث ، دمشقي سكن الكوفة ، انظر سمط اللآلي ص ٨٤٤ .

(٢) هو أعشى باهلة عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان يكنى أبا قحطان . أنظر خزانة الأدب ١/٩٠ سمط اللآلي ٧٥ .

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو عدي فارس جواد . أنظر الشعر والشعراء خزانة الأدب ١/٤٩٤ الشريشي ٢/٣٣٢ .

(٤) قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعرّي أفراس الصبا ورواحله

(٥) هذا هو الصحيح بتشديد الواو ، أما في المخطوطة : خراث .

(٦) ذات النحيين : قصة لأمرأة من تيم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر اللسان مادة « نحا » .

وذات عيال واثقين بعقلها ‏ ‏ خلجت لها جار استها خلجات

وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النحيين وحدها ، ولم يرد أنه فعل هذه القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله [١] في هذه القضية :

وأهل خباء صالح ذات بينهم ‏ ‏ قد احتربوا في عاجل أنا آجله

وانما أراد هاج بين حيه وحيها من الحرب فسبب هذه القصة ولم يرد أهل أخبية كثيرة . وقال صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء [٢] :

وذي أخوه قطعت أقران بينهم ‏ ‏ كما تركوني واحداً لا أخا ليا [٣]

وانما أراد بذي ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أخاه معاوية فلما قتله بأخيه أنشد هذا الشعر . وقوله : « كما تركوني واحداً لا أخا ليا » يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ انما كانوا بني حرملة ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :

وقوم على البقلاء لم يك مثله ‏ ‏ على الأرض قوم في بعيد ولا دان

وأنشد سيبويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليم وعامر ‏ ‏ قليل سوى الطعن النهال نوافله [٤]

وقال ابن مخلاة الحمار في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها ‏ ‏ حوائم طير مستدير وواقع

---

(١) المقصود هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي سنة ١٠ للهجرة وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر النويري ، عيون الأخبار ٣٦٦/١٦ ، المبرد الكامل ٢٦٦/٢ ، التبريزي ، شرح الحماسة ١١٠/٣ .

(٣) هكذا في المراجع ، أما في المخطوطة : « وذي أخوة قطعت أعراق بينهم »

(٤) انظر سيبويه (الكتاب) ٩٠/١ ونسبة البيت إلى رجل من بني عامر .

فهولاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وما أنشده النحويون من قوله [١] :

ونار قد حضأت بعيد وهن [٢] بدار ما أريد بها مقاما

وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتاً كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وان تعتب الأيام فيهم فربما [٣]

يريد ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياليـــــه ولكن تكدر الأحسانا [٤]

وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقومها بآخر منهم [٥]

وقال :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب [٦]

---

(١) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(٢) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هدء .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف الثغري .

(٤) من قصيدة مطلعها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

(٥) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(٦) من قصيدة مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقال يهجو كافوراً :

وأسود أما القلب منه فضيق   نخيفاً وأما بطنه فرحيب (١)

وقال يمدحه :

وأبلج يغضي باختصاصي مشيره   عصيت بقصديه مشيري ولوّمي (٢)

وانما عنى بالأبلج كافوراً وبمشيره ابن حنزابة وزيره وكذلك قوله لسيف الدولة :

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً   بشق قلوب لا بشق جيوب

ورب كئيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير كئيب (٣)

وقد أوضح ما أراده من التقليل ههنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ « رب » وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد   وآخر يدعى معه اشتراكا (٤)

ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك ولربما   تلقاه وهو العابس المتجهم

وقال آخر :

احذر عدوك مرة   واحذر صديقك ألف مرّه

فلربما انقلب الصديـــق فكان أعلم بالمضرّه

---

(١) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكبري) .

(٢) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة : « وأبلج يغضي باختصاصي مشيره »
وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم   وأمّ ومن يممت خير ميمم

(٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير لبيب

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا   فلا ملك إذن الا فداكا

وقال عدي بن زيد (١) وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا لبينى أوقدي النارا ان من تهدين قد جارا (٢)

رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا

عندها ظبي يؤرثها عاقد في الجيد تقصارا

فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عديّ نار عادية باتت تُشَب على أيدي مصاليتا (٣)

وما لبينى وان عزت بربتها لكن غذتها رجال الهند تربيتا (٤)

ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص اتياناً مطرداً ويرى ذلك من تأمل الأشعار التي في الألغاز والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، فانهم كثيراً ما يستعملون « رب » في أوائلها مصرحاً بها أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الانس تشتهى ولا الجن قد لاعبتها ومعي ذهني

فأدخلت فيها قيد شبر موفر فصاحت ولا والله ما وجدت تزني (٥)

فلما دنت لهراقة الماء أنصتت لأعزله عنها وفي النفس أن أثني

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي المتوفى سنة ٣٥ ق . ه . شاعر جاهلي من أهل الحيرة . أنظر خزانة الأدب للبغدادي ١٨٤/١ ، الأغاني (دار الكتب) ٩٧/٢ ، السيوطي شرح الشواهد ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المرزباني ص ٢٤٩ .

(٢) رويت الأبيات في الأغاني ١٤٧/٢ .

(٣) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي الفهم القاضي التنوخي ، مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أوهيتا وموقد النار لا تكرى بتكريتا

(٤) هكذا البيت في الديوان (طبعة صادر) أما في المخطوطة .

وما تبين وان عزت بربتها لكن عزتها رجال الهند تربيتا

(٥) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فادخلت فيها قيد شبر موتر فصاحت ولا والله ما وجدت ترني

وانما وصف بكرة ليستقي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج يتراءى بوجهه الزخار
ونهار رأيت منتصف الليـ ـل وليل رأيت نصف نهار
وثلاثين ألف شبخ قعوداً فوق غصن ما ينثني لانكسار

يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحبارى ، وبالليل فرخ الكروان ، وبالشبخ الرذاذ الصغير من المطر .

وقال الأغلب العجلي (١) ووصف ثعلباً أرسل عليه كلباً فعقره :

وثعلب بات قرير العين لاقى مع الصبح غراب البين
وقد غدا مجتمع الشخصين فاستقبلته بحضور الحين
طلمة كلب أغضف الأذنين فمر يهوي ثابت الساقين
إلى وجار بين صخرتين والكلب منه راكب المتنين
فلم يرغه غير روغتين حتى رأيت شلوه نصفين

وقال يصف صقراً :

يا رب صقر يفرس الصقورا ويكسر العقبان والنسورا
فرّ الأوزّ منه مستجيرا

وقال ابن الرومي :

ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور (٢)

---

(١) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل . شاعر راجز معمر أدرك الجاهلية والاسلام ، استشهد في واقعة نهاوند انظر خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٣/١ والمؤتلف والمختلف ص ٢٢ سمط اللآلىء ٨٠١ .

(٢) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي . انظر الديوان .

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة من عليها عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلئ لها صورة البطيخ وهي من الند

وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها (١) .

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطّل

وكذلك قوله في صفة صيد شاهده مع ابن طغج (٢) :

وشامخ من الجبال أمرد جرد كيأفوخ البعير الأصيد (٣)

وانما أراد منزلاً معيناً وجبلاً معيناً ، ويدل على ذلك قوله :

[في مثل متن المسد المقعد] زرناه للأمر الذي لم نعهد

وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طغج (٤) :

وذات غدائر لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق

قال الأستاذ — أعزه الله — فهذه المواضع كلها « رب » فيها للتقليل ، وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضحها . وهذه حقيقة « رب » وموضوعها والله أعلم .

---

(١) في الديوان : قالها ارتجالاً يصف كلبا أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي .

(٢) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً فالتقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً .

(٣) هكذا في المخطوطة ، اما رواية الديوان :

وشامخ من الجبال اقود فرد كيأفوخ البعير الأصيد

(٤) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

« باب ذكر المواضع التي وقعت فيها (رب) بمعنى التكثير على طريق المجاز »

إنما تأتي « رب » بمعنى التكثير في معظم أحوالها في المواضع التي يذهب فيها الى الافتخار والمباهاة كقول القائل : « رب عالم لقيت ، ورب يوم مسرور شهدت » لأن الافتخار لا يكون إلا بما كثر من الأمور في الغالب من أحواله وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء الجماعة ، ولكن الأول هو الأكثر فمن ذلك قول امرىء القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل [١]

وقوله :

فان أمس مكروبا فيارب بهمة كشفت إذا ما اسود وجه جبان
وان أمس مكروبا فيارب قينة منعمة أعملتها بكران [٢]

وقوله :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوث سهوة المشي مذعان

---

(١) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان وشرح المعلقات للتبريزي .
الا رب يوم لك منهن صالح .. ..

(٢) هكذا في الديوان ، أما المخطوطة : وان أمس مكروبا فيارب منية
ومطلع القصيدة :
لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني

ومجر كفلاث الانيعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان [١]

فهذه مواضع لا يليق بها إلا التكثير . وكذلك قول أبي كبير الهذلي [٢] :

أزهير إن يشب القذال فانه رُبّ هيضل لجبٍ لفقت بهيضَلِ [٣]

وكذلك قول أبي عطاء السندي يرثي عمر بن هبيرة الفزاري [٤] :

فان تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

وهذا النوع من الشعر كثير جداً . والفرق بين هذا الباب والباب الأول ، أن الأول حقيقة « رب » وهذا الباب مجاز يعرض لها كما يعرض للمدح أن يخرج مخرج الذم ، وللذم أن يخرج مخرج المدح ، وللتذكير أن يخرج مخرج التأنيث وللتأنيث أن يخرج مخرج التذكير كما ذكرنا في الباب الأول ، ومن الفرق بينهما أن « كم » يصلح استعمالها في هذا الباب مكان « رب » ولا يصلح ذلك في الباب الأول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التقليل

---

(١) هكذا في الديوان ، أما رواية المخطوطة :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوث سمرة المشي مذعان
وتجر كفلاث الانيعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان

ومطلع القصيدة :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

(٢) هو أبو كبير الهذلي عامر بن الحليس من شعراء الحماسة . أنظر التبريزي ٤١/١ خزانة الأدب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ، سمط اللآلي ٣٨٧ .

(٣) هكذا في « اللسان » أما في المخطوطة : « رب هضل لجب لفقت بهضل » .

(٤) هو أفلح بن يسار السندي أبو عطاء ، شاعر فحل ، من مخضرمي الدولتين أنظر فوات الوفيات ٢٧٣/١ التبريزي ٣٠/١ الخزانة ١٧٠/٤ ذكر ابن قتيبة : قيل اسمه مرزوق .

مرة وبلفظ التكثير مرة كقول رجل من بني فقعس أنشد أبوتمام في الحماسة :

وذي طبـاب مظهرين عداوة . . . . . الأفناد [١]

نابذتهم بغضـاءهم وتركتهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد

وقال ربيعة بن مفرغ [٢] في نحو من هذا الشعر أنشده أبوتمام :

وكم من حامل لي ضب طعن بعيد قلبه حلو اللسان

ولكني وصلت الحبل منـه مواصلة بحبـل أبي بيان

فغرض الشاعر في هذا الشعر واحد . وقد أخرج أحدهما بلفظ التقليل ، وأخرج الآخر بلفظ التكثير فدل ذلك على أن « كم » و « رب » يتعاقبان على الشيء الواحد في هذا الباب . وربما جمعها الشاعر في شعر واحد كقول عمارة بن عقيل [٣] :

فان تكن الأيام شيبن مفرقي وأكثرن أشجاني وبلغن من غرب

فيارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب

وكم ليلة قد بتّهـا غير آثم بشاجية الحجلين مفعمة القُلب

ألا تراه قد أورد تكثير أيامه ولياليه فأخرج بعض ذلك بلفظ « رب » وبعضه بلفظ « كم » ورأى الأمرين سواء ، فان قال قائل : إذا كانت « رب » في أصل وضعها وحقيقتها للتقليل نقيضة « كم » فما الوجه في استعمالهم إياها في مواضع التكثير التي لا تليق إلا بكم ؟

---

(١) لم ترد الأبيات في حماسة أبي تمام إلى أي من الفقعسيين .

(٢) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . أنظر الخزانة ٢/٢١٢ ، إرشاد الأريب ٧/٢٩٧ ، الشعر والشعراء ٢١٩ .

(٣) هو عمـارة بن عقيل بن بلال بن جرير المتوفى سنـة ٢٣٩ هـ أنظر تاريخ بغداد ١٢/٢٨٢ .

فالجواب أن ذلك لأغراض يقصدونها : [فمنها أن المفتخر يزعم أن الشيء الذي يكثر وجوده من غيره وذلك أبلغ في الامتداح والفخر من أن يكثر من غيره ككثرته منه فاستعيرت لفظة التقليل في موضع التكثير إشعاراً بهذا المعنى كما استعيرت ألفاظ الذم في موضوع المدح] [١] : أخزاه الله ما أشعره ، وامنه الله ما أفصحه ، إشعاراً بأن الممدوح قد حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على افضله ، لأن الفاضل هو الذي يحسد ويوقع في الناقص لا يلتفت اليه وقد خرج الشاعر بهذا في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد   وإنما الفاضل من يحسد

ولذلك قال بعض العرب : السيد من إذا أقبل هممنا وإذا أدبر عبنا . وكذلك استعار ألفاظ المدح في موضع الذم فيكون ذلك أشد على المذموم بلفظ الذم بعينه ، لأن في ذلك مع الذم نوعاً من الهزء كقولهم للأحمق : يا عاقل وللجاهل : يا عالم . وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فكذلك إذا استعيرت لفظة التقليل مكان التكثير كان أبلغ من لفظ التكثير المحض ، ولو وقع ههنا . وكذلك يستعيرون « كم » في موضع التقليل على وجه الهزء فيقولون : كم بطل قتل زيد ، وكم ضيف قرى ، وهو لم يقتل بطلاً قط ولم يقر ضيفاً فيكون أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد . ويدل على أن هذا غرضهم في ذكر « رب » في هذا الموضع أنهم قد خرجوا به في مواضع كثيرة من أشعارهم كقول سالم بن وابصة :

وموقف مثل حد السيف قمت به   أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زلقت ولا أبديت فاحشة   إذا الرجال على أمثالها زلقوا [٢]

---

(١) كذا في الأصل .   (المجلة)

(٢) هكذا في التبريزي ٢/٢٣٦ ، أما في المخطوطة :

فما زلقت ولا أبليت فاحشة .. ..

ألا تراه يفتخر بأن هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره . ومثله قول الآخر :

يا رب ليلة هول قد سريت بها إذا تضجع عنها العاجز الوكلُ

وكذلك قول العجاج (١) :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدرجا

إذا رداء ليلة قد جدجا علوت أحشاه إذا ما أحنجا (٢)

ونظير هذا في أن له نسبتين مختلفتين : نسبته كثرة الى المفتخر ونسبة قلة الى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ « رب » انهم إذا سموا رجلاً بالحارث والعباس والحسن ونحو ذلك من الصفات فربما أقروا فيها الألف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما حذفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه ، فتكون نسبتان مختلفتان تأتي إحداهما تارة والأخرى تارة ، ونظير اجتماع القلة والكثرة في هذا الباب بغرض من الأغراض اجتماع الشك واليقين في قولهم : قد علمتُ أزيد عندك أم عمرو ، وهذا كلام ظريف على ظاهره ، لأن الذي يدعي العلم لا يستفهم ، والذي يستفهم لا يدعي العلم ، وإنما تأويله قد علمت ما يستفهم غيره عنه . فهذا وجه من وجوه التقليل في هذه الأشياء . وقد يدخلها معنى التقليل على وجه آخر وهو أن القائل قد يقول : (رب عالم قد لقيت) وهو قد لقي كثيراً من العلماء ولكنه يقلل من لقيه تواضعاً ،

---

(١) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور . أنظر شرح المغني ص ١٨ ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ .

(٢) ورد البيتان في ديوان العجاج على النحو الآتي :

عصراً وخضنا عيشه المعذلجا ومهمه هالك من تعرّجا

هائلة أهواله من أدلجا اذا رداء ليلهِ تدجدجا

ومطلع الأرجوزة :

ماهاج أحزاناً وشجواً قد شجا من طلل كالأتحمي أنهجا

ويكون أبلغ من التكثير ، لأن الإنسان إذا حقر نفسه تواضعاً ثم افتخر فوجد أعظم مما يقول جل قدره . وإذا عظم نفسه وأنزلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك هان على من كان يعظمه . فهذا وجه من التقليل الذي يستعمل في هذه المسائل التي معانيها معاني الكثرة ، وقد يدخلها التقليل على معنى ثالث وهو قول الرجل لصاحبه : (لا تعاوني فربما ندمت) وهذا موضع ينبغي أن تكثر فيه الندامة وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن الندامة على هذا لو كانت قليلة لوجب أن تخاف ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة ، فصار لفظ هذا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير . وعلى هذا تأول النحويون قول الله تعالى : « ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (١) . وعلى نحو هـذا يتأول قول امرئ القيس :

الا رب يوم صالح لك منهما   ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقول أبي كبير الهذلي :

أزهير إن يشب القذال فانه   رُبَّ هيضل لجب لففتُ بهيضلِ

إن استعارة لفظ التقليل ههنا إشارة إلى أن قليل هذا فيه فخر لفاعله فكيف كثيره . وأما قول أبي عطاء السندي في رثاء عمر بن هبيرة الفزاري :

فإن تمس مهجور الفناء فربما   أقام به بعد الوفود وفود

فقد يتأول على نحو هذا المعنى ويحتمل أن يريد أن مدة حياته التي كثرت عليه فيها الوفود كانت قليلة . فعلى نحو هذه التأويلات تأول النحويون الذين أصلوا أن (رب) للتقليل هذه الأشياء التي ظاهرها التكثير . ومن قال في هذا الموضع إنها للتكثير تلقى الكلام على ظاهره ولم يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يقسمها إلى الحقيقة والمجاز كما فعلنا نحن والحمد لله كثيراً لما هو أهله .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢ .

فهرس مراجع التحقيق والشرح

ارشاد الأريب ، لياقوت (مر كوليوث) .
خزانة الأدب ، للبغدادي (بولاق ١٢٩٩) .
ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م) .
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م) .
ديوان امرئ القيس (سلسلة ذخائر العرب) .
ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٢٣) .
ديوان جرير (نشر الصاوي) .
ديوان حاتم الطائي (من مجموع خمسة دواوين) .
شرح التبريزي على الحماسة (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .
ديوان ذي الرمة (كمبردج ١٩١٩ م) .
ديوان العجاج (ليبسك ١٩٠٢ م) .
ديوان الفرزدق (نشر الصاوي) ١٣٥٤ هـ) .
ديوان المتنبي (شرح العكبري) .
سمط اللآلئ للراجكوتي (لجنة التأليف ١٣٥٤) .
شواهد شروح الألفية للعيني (بهامش خزانة الأدب) .
شرح مقامات الحريري للشريشي (بولاق ١٣٠٠) .
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الحلبي ١٣٢٩) .
شروح سقط الزند (صنع لجنة إحياء آثار أبي العلاء : طبع دار الكتب ١٩٤٥ - ١٩٤٩)

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن ١٩٠٢ م) .

الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك وأحمد محمود شاكر) .

كتاب سيبويه (بولاق ١٣١٦) .

لسان العرب (طبع صادر) .

مجمع الأمثال للميداني (البهية ١٣٤٢) .

معجم الشعراء للمرزباني (القدسي ١٣٥٤) .

المؤتلف والمختلف للآمدي (القدسي ١٣٥٤) .

الموشح للمرزباني (السلفية ١٣٤٣) .

نزهة الألباء لابن الأنباري (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ١٩٥٩ م) .

نكت الهميان للصفدي (القاهرة ١٩١٠ م) .

مطبعة الترقي